(العلاقات الأسرية و آليات الضبط في المجتمع التقليدي)

أ/ لكحل خيرة، جامعة الجلفة

ملخص:

يعتبر الضبط الاجتماعي من أهم المواضيع التي تناولها علم الاجتماع بالبحث و التحقيق و ذلك نظر لأهميته البالغة في المجتمعات. فهو المسؤول الأول على ضبط نسق العلاقات الاجتماعية في البنيات الاجتماعية المختلفة مهما اختلف تكوينها المورفولوجي . فهو يعمل على إبقاء التوازن في ظل دينامية المجتمعات خاصة تلك المجتمعات التي يمكن القول عنها أنها منغلقة ذاتيا نوعا ما كالمجتمع الريفي الذي يعبر عن ذاته من خلال خصائصه التي تميزه عن المجتمع الحضري خاصة على مستوى النظام الأسري الذي يعكس مجموعة من القيم و العادات و التقاليد و الثقافة التي تساهم في بناء علاقاته و تراتبية السلطة فيه التي ترجمها الباحثين في النظام الأبوي الذي يعبر بصورة كبيرة جدا عن تراتبية السلطة في الأسرة إضافة إلى الهيمنة الذكورية اللتان تعتبران آلياتان للضبط الاجتماعي من اجل إعادة أنتاج الأدوار و المكانات في الأسرة و لكن رغم ذلك لا يمكن أن نغض النظر عن تأثير التغير الاجتماعي الذي أثر على القيم السائدة في الأسرة مما أنتج لنا نوعا من صراع الأجيال داخل الأسرة الواحدة .

الكلمات المفتاحية : العلاقات الأسرية - المجتمع الريفي- النظام الأبوي- التغير الاجتماعي- الضبط الاجتماعي.

Résumé:

La régulation social est l'un des sujets les plus importants que la sociologie traite et ce, vue l'importance qu'elle revêt dans les sociétés. Elle joue un rôle premier dans la régulation du système de relations à l'intérieur des différentes structures sociales qu'elle que soit leur composition. La régulation social est susceptible de maintenir l'équilibre des sociétés, en particulier, chez celle qui sont relativement enfermées sur soi comme le cas des sociétés rurales qui ont leurs propres caractéristiques qui les distinguent des sociétés urbaines à savoir, le système familial qui reflète un ensemble de valeurs, de coutumes, de traditions et une culture qui contribuent à l'établissement des relations et à la hiérarchisation du pouvoir. Cela est désigné par les chercheurs à travers le concept du système patriarcal qui se caractérise par une nette hiérarchisation du pouvoir au sein de la famille ainsi que la domination masculine qui sont à leur tour considérées comme des mécanismes de régulation social dont le but est la reproduction des rôles et statuts au sein de la famille.

Néanmoins, il n'est pas possible d'ignorer l'impact du changement social qui a affecté les valeurs dominantes dans la famille, ce qui a créé un conflit de génération en son sein.

Mots-clés: Relations familiales - Société rurale - Système parental - Changement social - Contrôle social.

مقدمة:

يعتبر الضبط الاجتماعي من المسائل الاجتماعية الرئيسية ذات الأهمية في مختلف المجتمعات البشرية حيث يمثل من الناحية الاجتماعية أساس التنظيم و البناء الاجتماعي المتماسك ،و حيث أن الأسرة تمثل إحدى أهم المؤسسات الاجتماعية فهي تعتبر جماعة أولية و الأساسية في التنظيم الاجتماعي ، إذ أن دورها يتمثل في بناء شخصيات أبناءها ، كما أنها مسؤولة عن تنظيم أنماط السلوك و تشكل الإطار الأسري الاجتماعي الذي يحدد سلوك أفرادها في المجتمع الخارجي .

كما إن الأسرة تمثل أول جهاز لمباشرة قوى الضبط الاجتماعي ، لأنها أول وسيط يحيط بالطفل و يقوم بتنشئته و ترويضه و التأثير في توجيهه، و هي تقوم بهذه المهمة من خلال مجموعة من الوسائل التي تعد بمثابة الضوابط التي تصقل بها شخصية أبنائها و ذلك من اجل إعدادهم لحياة المستقبلية ،حيث أن هؤلاء سيكونون في الغد القريب أرباب أسر و أطرافا فاعلة في مختلف ميادين الحياة .و إن مشوارهم في المستقبل سيعتمد على ما اكتسبوه من ماضيهم .

و تتم ميكانيزمات الضبط الاجتماعي بصفة عامة داخل الأسرة و المجتمع ككل من خلال مختلف القوى التي لتأثير على سلوك الأفراد عبر وسائل مختلفة المتمثلة فالدين و العادات و التقاليد و الأعراف و القيم و التنشئة الاجتماعية و ذلك من اجل الحفاظ على امن المجتمع و استقراره و حماية مقوماته و قيمه عبر تنظيم العلاقات بين الأفراد.

و لعل أكثر ما يؤثر في سلوك الفرد هو مجموعة القيم و العادات و التقاليد و التعاليم الدينية و مختلف الأساليب التربوية ...

و تختلف تأثير هذه العوامل من مجتمع إلى آخر فالمجتمع المدني يختلف عن المجتمع الريفي في الكثير من الخصائص و الثنائيات التي تكلم عنها أبن خلدون في كتابه المقدمة حيت قدم شرحا مفصلا عن الفروقات بين الريف و الحضر الذي عبر عنه بقول البداوة و قوله أن أصل الحضر هم البدوا و سابق عليه ، و ذلك من عدة نواحي من ناحية التنظيم الاجتماعي العادات التقاليد و البنية التقليدية و النظام الاجتماعي و ظاهرة التضامن الاجتماعي و تقسيم العمل كما تكلم عنها إيميل دوركايم عندما تكلم عن التغير الاجتماعي و ظهور المجتمع الحضري ... قدم خصائص المجتمع الريفي الذي يتميز بوحدة بنيته الاجتماعية ..و بتقسيم العمل و بالتكافل الاجتماعي و القهر الاجتماعي .. التي تفرضها سلطة العادات و التقاليد و روح الجماعة من اجل الضبط الاجتماعي للأفراد .

و لكن مع مرور الوقت و ظهور التغير الاجتماعي في المجتمعات الذي أدى إلي تغير النمط الأسري و ظهور الحراك المهني مع موجة التصنيع التي ظهرت فالمجتمعات الغربية و مع الثورة الصناعة و الثورة التكنولوجية أصبح المجتمع في تغير متواصل و سريع الذي أثر على المجتمع الريفي بحيث انبثق عنه المجتمع الحضري أو المدني .

الذي أثر بصورة واضحة على وسائل الضبط الاجتماعي التي انتقلت من الضبط الغير الرسمي إلي الضبط الرسمي عن طريق القانون الوضعي ...

التغير الاجتماعي رغم أن تأثيره ليس كبير جدا في المجتمعات الريفية إلا إن درجة التغير تختلف من مجتمع إلى آخر بحسب عوامل التغير الذي طالته .و تختلف من منطقة إلى أخرى

و لعل التغير في المظهر ربما هو أسهل أنواع التغير على عكس تغير الذهنيات الذي يكون صعب جدا .

بحيث يمكننا ملاحظة إن الريف العربي بصفة عامة يتميز بنمط بناء اجتماعي مميز وهو ما يطلق عنه المجتمع التقليدي ذو النزعة الذكورية و النظام البطريقي الأبوي الذي تلكم عنه هشام شرابي في كتابه النظام البطريقي الأبوي و مشكلات التخلف في العالم العربي.

حيث يمكننا القول أنه رغم التغير الاجتماعي الذي طال المجتمعات العربية و لكن مازلت هناك الكثير من الموروثات الثقافية التي ضلت موجودة ضمن ذهنياتنا و تعاملاتنا منها السلطة الذكورية التي يرى فيها الرجل سلطته المطلقة على المرأة سواء زوجة أو أبنه أو ام و هذا ما يتحكم بشكل واضح ضمن العلاقات الأسرية ينميطها الطولي الذي يكون فيه هناك تمايز فالسلطة ك العلاقة بين الآباء و الأبناء .أو العلاقات العرضية التي تكون فيها السلطة متساوية ك العلاقة بين الأبناء .

هنا فالمنطقة الريفية الضبط الاجتماعي أمر ضروري جدا لعله أكثر أهمية منه في المنطقة الحضرية لأنه يخضع بصورة كبيرة لنظام القبيلة هذا ماهو معروف عن المجتمع العربي منذ نشأته .

بحيث الضبط الاجتماعي في العلاقات الأسرية يتم عن طريق العادات و التقاليد و الأعراف و الدين و عن طريق السلطة الذكورية و النظام البطريقي الأبوي .

بحيث في دراستنا الاستطلاعية لاحظنا و بشكل كبير جدا عزوف أفراد المجتمع الريفي عن اللجوء للضبط الرسمي أو ما يعرف بالقضاء و المحاكم حتى فالقضايا الخارجية أو ما يعرف بالمشكلات .

و تسعى الأطراف أو المؤسسات التي تمارس الضبط الاجتماعي في المجتمع الريفي إلى الحفاظ على ثقافة المجتمع و بنيته الاجتماعية و النظام الاجتماعي و النسق الاجتماعي

و محاولة أبقاء و الحفاظ على مكانة و دور كل عضوا ضمن النسق الأسري من خلال الوظيفة التي تحددها مكانته ضمن هذا النسق . الذي لابد من ضبطه اجتماعي عن طريق مجموعة من الميكانيزمات و الآليات التي تمارس بصورة مباشرة و غير مباشرة ضمن التفاعلات الاجتماعية التي تحدث أثناء ممارستنا للحياة اليومية و من هنا في هذا المقال نحاول معالجة التساؤل التالي : كيف تتم عملية الضبط الاجتماعي للعلاقات الأسرية بنية المجتمع التقليدي ؟ و كيف أثر التغير الاجتماعي على الضبط الاجتماعي للعلاقات الأسرية؟

أن عملية الضبط الاجتماعي هي عملية و أساسية ضمن البنية الاجتماعية باختلاف أنظمتها و أنماطها الاجتماعية و باختلاف اتساقية توزيع علاقاتها إذ أن البنية بصفة عامة بحد ذاتها هي عبارة نسيج العلاقات الاجتماعية الدائمة المستقرة في المجتمع ، و التي تبدوا على هيئة انساق متبادلة التأثير و التفاعل لكل منها وظائف اجتماعية في الجماعات ، و بين الأفراد ، الذي تنظم علاقاتهم و تحدد أدوارهم التي تتباين بتباين المواقف التي يمارسونها . تلك المواقف تحدد بقواعد و إجراءات اجتماعية معقدة . كما أنها تتفاعل بالآخر داخل نطاق الجماعة أو المجتمع بطريقة فيها كثير من الانسجام و الاتساق(عبد الفتاح تركي موسى ، ب س ، ص 20.)

أما العالم الاجتماعي تالكوت بارسونز في دراسته حول الحالة الراهنة للنظرية الوظيفية في علم الاجتماع قدم تعريفا للبينة الاجتماعية موضحا أنها " عبارة عن مجموعة من العلاقات بين أجزاء نسق حي ، و التي يمكن أن تظهر على أساس أمبريقي في شكل ثابت على امتداد فترة من الزمن(.T. Parson . 1949 .P 34)

و يقول هي مجموعة من العلاقات النمطية الثابتة نسبيا بين الوحدات ، و حيث أن وحدة النسق الاجتماعي هي الفاعل ، فإن البنية الاجتماعية هي نسق منمط للعلاقات بين الفاعلين " و على أية حال فان الخاصية المميزة لبنية أنساق الفعل الاجتماعي هي أن الفاعل في معظم علاقاته ، لا يشارك ككيان كلي ، و أنما في ارتباط فقط بقطاع متباين معين في الفعل الكلي ، مثل ذلك فإن الصياغة السابقة ينبغي تعديلها لتقول أن البنية الاجتماعية هي نسق لعلاقات نمطية للفاعلين وهو يقومون بأدوار في ارتباط كل منهم بالآخرين و الدور هو مفهوم الذي يربط الأنساق الفرعية للفاعل بوصفه كيانا يسلك سلوكا سيكولوجيا تجاه البنية الاجتماعية المميزة . و هناك مجموعة من البنى الاجتماعية من بنية المجتمع الحضري، ، الريفي ، المتمدن، و ما يهمنا في هذا المقال هو المجتمع الريفي التقليدي الذي بدوره هو ذلك الشطر من المجتمع الذي يقيم فيه السكان في منطقة جغرافية محددة ، و التي تحدد على أنها مناطق ريفية. و هؤلاء السكان نشأت بينهم علاقات اجتماعية و التي من خلالها أقاموا جماعات و منظمات و مؤسسات اجتماعية ريفية . و مرافق مختلفة و التي عن طريقها يشبعون احتياجاتهم الاجتماعية و الاقتصادية و النفسية . و قد أصلحوا بحكم الخبرة السكانية و المصالح ثقافة و خصائص ريفية (حسين عبد الحميد احمد رشوان ، مرجع سبق ذكره ، ص 69.)

و تعتبر الكثير من الدراسات الحقلية إن الزراعة ترتبط بالتنظيم الريفي القروي ،الذي يعتبر في أبسط أشكاله الأساس الأول لقيان العمران الحضري نظرا لأنه يتطلب ارتباط الناس بالأرض ، و الاستقرار في مكان محدد و ما يترتب عن ذلك من الرغبة في الرفع من مستوى المعيشة و تحسين ظروف الحياة في كل النواحي و الميل إلى العمل على المحافظة على التراث الاجتماعي و الثقافي و الاعتزاز به. (محمد عبدوا محجوب و فاتن محمد شريف، 2005. ص 119.)

و من مكونات المجتمع الريفي القرية ، التي هي عبارة عن بنية اجتماعية بسيطة نسبيا ، و قد ظهر تعريف للقرية الريفية في قاموس الانثروبولوجيا بأنها " عبارة عن مجموعة من المساكن تكون وحدة محلية صغيرة ، تشغل إقليما محددا في الريف ، كما قد تعتمد في صفاتها على المزارع المحيطة بها ، و هي في الأغلب صغيرة الحجم بحيث يعرف سكانها بعضهم البعض معرفة شخصية .و القرية أساس المجتمع الريفي ،و يكون سكانها في أكثر الحالات وحدة اقتصادية لاشتراكهم في حياة الأرض و الانتفاع بها (سليم شاكر مصطفى، 1981 ، ص 17.)و بطبيعة الحال للمجتمع الريفي خصوصيات يختلف بها عن المجتمع الحضري منها البنية المرفولوجية و التي تعكس نسق العلاقات الاجتماعية و العلاقات القرابية التي لها آليات خاصة تضبطها من خلال ثنائية المكانة و الدور ضمن البناء الاجتماعي الريفي، في هذا المقال نحاول تسليط الضوء على العلاقات الاجتماعية الأسرية التي يقصد بها تلك العلاقات التي تقوم بين أدوار الزوج والزوجة والأبناء ، ويقصد بها أيضا طبيعة الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة الذين يقيمون في منزل واحد ، ومن ذلك العلاقة التي تقع بين الزوج والزوجة وبين الأبناء أنفسهم.

و يقصد بالتفاعل الاجتماعي مجموعة من الأفعال وردود الأفعال التي تصدر عن أفراد في موقف من المواقف الاجتماعية ، و عملية التفاعل عملية حركية بمعنى أنها تصرف واحد من أطرافها يؤثر على سلوك الآخر ، و تصرف هذا الأخير سيؤثر بالتالي على تصرف الطرف الأول ، و هكذا تستمر عمليات التأثر و التأثير المتبادل طالما استمر الموقف الاجتماعي الذي يجمعهما.

و شغل موضوع العلاقات الأسرية في المجتمع العربي بصفة عامة و المجتمع الريفي بصفة خاصة الباحثين كثيرا. و ركزوا على ما أطلقوا عليه النظام الأبوي البطريقي الذي ينظم العلاقات داخل الأسرة العربية بصفة عامة و الريفية بصفة خاصة .و الذي من خلال جزئياته يعمل على الضبط البنائي للعلاقات من أجل الحفاظ على إعادة إنتاج الأدوار و المراكز بما يتناسب مع التوقعات عن طريق الضبط الاجتماعي الذي قال عنه جورج جيرفيتش مجموعة من الأنماط الثقافية و الرموز الاجتماعية و المعاني الاجتماعية و القيم و الأفكار و المُثُل ، و كذلك الأفعال و العمليات التي يتمكن المجتمع أو الجماعة أو الفرد بواسطتها من التغلب على مختلف أنواع التوتر و الصراع و إعادة التوازن إلى الجماعة. أما روس عبر عنه بقوله أنه ما يمارسه المجتمع للمحافظة على نظامه، و ذلك عن طريق مختلف النظم و العلاقات الاجتماعية ، تلك النظم التي يثير الخروج عليها سخط الجماعة ، و ذلك السخط الذي يتدرج من مجرد السخرية و الاحتقار و الاشمئزاز، إلى القطيعة و التجنب و النبذ ثم إنزال الضرر بالمخالف و إيذائه و ربما ينتهي الأمر إلى جرحه و قتله (سلوى علي سليم،1985،ص23) و يعبر عنه أيضا بأنه سيطرة اجتماعية مقصودة و هادفة لها قوة دافعة لا يستهان بها في إحداث الاستقرار في المجتمعات" (خالد بن عبد الرحمان،2000،ص27) فالضبط الاجتماعي لدى روس ينحصر فيما يقوم به المجتمع من خلال استخدامه لمختلف الوسائل و المفاهيم التي تحتويها السيطرة من اجل توجيه من يراد السيطرة عليه بطريقة مقصودة بعيدة عن التلقائية و الصدفة و يعرفه اوجبرن ونيميكوف بأنه " العمليات و الوسائل التي تلجأ إليها الجماعة للتحكم في حالات الانحراف عن المعايير الاجتماعية أن كل ما يعتبر وسيلة من وسائل تنظيم السلوك يعتبر في الوقت ذاته أداة من أدوات الضبط الاجتماعي" (جبارة عطية جبارة،1992،90) أن علمية الضبط كما و سبق و عرضنا تتم في المجتمعات العربية التقليدية عن طريق النظام الأبوي الذي يسيطر و سيطر بشكل كبير على المجتمع الريفي .من هنا نطرح السؤال ماهو النظام الأبوي ؟

النظام الأبوي البطريركي هو بنية اجتماعية متميزة ناتجة عن شروط وظروف تاريخية واجتماعية وثقافية تتكون من سلسلة من المراحل التاريخية والتشكيلات الاجتماعية المترابطة فيما بينها حيث ترتبط كل مرحلة منها بمرحلة انتقالية تسبقها حتى تصل إلى مرحلة النظام "الأبوي الحديث". ومن الناحية البنيوية فالنظام الأبوي يتكون من طرائق التفكير والعمل والسلوك ويرتبط بنمط معين من التنظيم

الاجتماعي والاقتصادي التقليدي السابق على الرأسمالية. وهو يتخذ من المجتمع العربي شكلا نوعيا متميزا يقابل المجتمع الحديث، من خصائصه قابليته على الاستمرار وعلى مقاومة التغير والمحافظة على القيم والعصبيات العشائرية والأعراف التقليدية القديمة. وعلى الصعيد الاجتماعي يهيمن النظام الأبوي على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تغلب عليها الانتماءات القبلية والطائفية والمحلية، لان المجتمع الأبوي هو نوع من المجتمعات التقليدية التي تسودها أنماط معينة من القيم والسلوك وأشكال متميزة من التنظيم. وهو يشكل بنى نوعية متميزة تتخذ أشكالا مختلفة من بينها بنية المجتمع الأبوي العربي، الذي هو أكثر أبوية واشد تقليدية وأكثر محاصرة لشخصية الفرد وثقافته وترسيخا لقيمه وأعرافه الاجتماعية التقليدية وتهميشا للمرأة واستلابا لشخصيتها، لأنه ذو طابع نوعي وامتداد تاريخي وخصوصية ترتبط بالبيئة الصحراوية والقيم والعصبيات القبلية التغالبية.

ومن المعروف أن العالم العربي هو أعظم موطن للبداوة مثلما هو أكثر مناطق العالم تأثرا ومعاناة في الصراع بين قيم البداوة وقيم الحضارة، كما أشار إلى ذلك علي الوردي، ذلك الصراع الذي ما يزال يؤثر في بنية الثقافة وسمات الشخصية العربية . تمتد جذور النظام الأبوي العربي إلى النظام القبلي الذي يقوم على صلة الدم والقربى والعصبية القبلية، وتكون من شروط تاريخية وجغرافية وثقافية وذلك عن طريق سيطرة الثقافة البدوية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن طريق نظام القبيلة (المشيخة) الذي كان بديلا للدولة وإدارتها كتنظيم اجتماعي يقوم على العلاقات العشائرية. وبالرغم من أن الإسلام حاول تغيير البنية القبلية وجاء بمفهوم "الأمة" بديلا لمفهوم العصبية القبلية، إلا أن النظام القبلي بقي مهيمنا على المجتمع والدولة حيث استمرت القيم والتقاليد في تأثيرها على العلاقات الاجتماعية. كما استمرت الصحراء العربية برفد القرى والأرياف بموجات بدوية مستمرة خضع لها سكان الأرياف والمدن وتأثروا بقيمها وأعرافها وعصبياتها وذلك بسبب ضعف الدولة المركزية، بعد سقوط الدولة العربية . الإسلامية وعاصمتها بغداد على يد هولاكو عام 1256 مما سبب هيمنة النظام القبلي والمحلي على المجتمع وبصورة خاصة على بنية العائلة الممتدة في علاقاتها الاجتماعية والاقتصادية واستمرت حتى العصر الحديث بشكل أو بآخر، بالرغم من دخول كثير من عناصر التحديث إليها، لان الدولة الحديثة ما زالت لم تكتمل وتنضج ، وكذلك مفهوم الوطن والمواطنة والهوية ، التي ما زالت مفاهيم هلامية أولا ، ولان تركيب بنية العائلة العربية في شكلها الأولي لا يختلف كثيرا عن تركيب بنية القبيلة العربية لعصر ما قبل الإسلام، إلا في بعض مظاهرها الخارجية التي تأثرت بالتحديث، وليس في سلوكها ومضامينها وقيمها وذهنيتها ثانيا. كما أن النظام الأبوي هو بنية سايكولوجية ناتجة عن شروط تاريخية وحضارية نوعية تكونت من مجموعة من القيم والأعراف وأنماط من السلوك التي ترتبط بنظام اقتصادي تقليدي له خصوصية وبواقع اجتماعي حي، وليس مجرد خاصية من خواص نمط إنتاج معين بالعالم العربي.

ومن أهم خصائص النظام الأبوي التقليدي انه يقوم على العصبية القبلية وتماهي الفرد مع القبيلة التي تبادله الولاء بوصفها مسؤولة على الصعيد الاجتماعي والسياسي عن كل فرد من أفراد القبيلة، وهو ما يؤدي إلى تعزيز النظام القبلي القائم على العصبية، الذي يجعل من العائلة حجر الزاوية في البنية الاجتماعية كما تفترض أن بنية القبيلة هي "كل" لا يمكن تجزئته باعتبارها عائلة موسعة أو عشيرة أو مجموعة من العشائر التي تكون القبيلة، التي تعزز كيانها بسيطرة مزدوجة : سيطرة الأب على العائلة وسيطرة الرجل على المرأة والولد على البنت، بحيث يبقى الخطاب المهيمن هو خطاب الأب الذكر وأوامره وقراراته.

وقد اتخذت "الأبوة " صفتها من صلة القربى والدم وضرورة احترام الابن لأبيه والقيام على خدمته. ولا زالت تقاليد تقديم الابن فروض الطاعة لأبيه واحترامه مستمرة حتى اليوم. كما أن احترام الابن لأبيه هو الاحترام نفسه لعشيرته مركزا في شخص واحد يمثلها هو شيخها. وفي الحقيقة فان سلطة الأب ما هي إلا مظهر فردي لسلطة القبيلة. ورغم مرور مئات السنين بقي المجتمع العربي مجتمعا قبليا يتكون من وحدات اجتماعية أساسها القرابة التي تتمثل بالعائلة، التي هي جزء من الحمولة فالفخذ فالعشيرة فالقبيلة فاتحاد القبائل الذي يشكل المجتمع بأوسع صوره.

وتتكون الأسرة العربية من عدة عوائل عموما، وهي أسرة ممتدة كبيرة الحجم التي تشكل السمة الأساسية لبنية العائلة العربية حتى منتصف القرن الماضي وتضم كل المتحدرين من جد ذكر واحد وينصهرون في وحدة واحدة ويحمل جميع أفرادها اسم الجد الأول للأسرة. وفي الأرياف العربية ترتبط بنية العائلة ارتباطا وثيقا بأسلوب الإنتاج الاقتصادي السائد والعلاقات الاجتماعية التي تشكل الأرض والزراعة

ركيزتها الأولى والأساسية، وتعكس بشكل واضح بنية النظام القرابي الذي يقوم على التضامن والتماسك والتعصب العائلي في مواجهة المشاكل والأعباء والصراعات مع العوائل الأخرى ومع الحكومات وغيرها. ولذلك تحتاج العائلة إلى تكثير النسل لرفد الأرض بأيدي عاملة ذكورية كثيرة والزواج المبكر ومن داخل العائلة (ابن العم وابنة العم) وكذلك تعدد الزوجات التي تفرضها وحدة العمل في الأرض. وهكذا بقيت العائلة العربية الممتدة حتى وقت قصير تشكل وحدة اجتماعية إنتاجية بفعل استمرار الظروف والشروط البنيوية لتطورها حتى نهاية القرن التاسع عشر.

ومن المظاهر السلوكية التي ما تزال تفعل فعلها في إعادة إنتاج العلاقات القرابية ، هو الميل إلى التقارب السكني في منطقة واحدة أو مدينة واحدة أو في محلة واحدة وتوثيق علاقات القرابة بحضور المناسبات العائلية المختلفة وبخاصة في مناسبات الزواج والأعياد والوفيات وغيرها.

وما زال الزواج الداخلي يشكل النموذج المفضل لدى كثير من العوائل العربية الممتدة. كما يمتد النظام الأبوي . البطريركي العربي إلى تشكيلات السلطة التي ما زالت تعتمد على النفوذ العائلي، وما زالت التكتلات العائلية والعشائرية والطائفية تلعب دورا هاما وبارزا في كثير من القرى والأرياف وحتى في بعض المدن العربية. وليس من النادر أن نجد أفراد قبيلة واحدة أو طائفة واحدة أو مدينة واحدة أو منطقة واحدة يسيطرون على السلطة والدولة والمجتمع ويتحكمون في رقاب الناس. وهذا دليل على أن السلطة الأبوية ترتكز على العائلة الممتدة، التي هي النمط القرابي السائد، الذي يمتد إلى النظام السياسي الحديث و يستمد شرعيته من كونه نظاما قرابيا أبويا يطرح الحاكم نفسه فيه على انه "الأب القائد" وان جميع أفراد الشعب هم أبناءه، وعليهم جميعا واجب تقديم الطاعة والولاء والخضوع له دوما، وفي ذات الوقت ينتظر "الأب القائد " من أبنائه الولاء المطلق له. أن هذه العلاقة التي تتحكم بين الرئيس والمرؤوس، في العائلة والقبيلة والطائفة والدولة، هي شكل من السيطرة الأبوية الهرمية التي تقوم بين الحاكم والمحكوم .و لكن رغم تجذر النظام الأبوي فالبناء الاجتماعي العربي بصفة عام و الريفي بصفة خاصة إلا انه لا يمكن تجاوز التغير الاجتماعي و أثره على المجتمعات الناتج عن مجموعة من العوامل الذي أدى إلى تغيير في البناء الاجتماعي و آلية توزيع الأدوار و تراتبية السلطة كما عبر عنها **جيزبرغ**" إني لا افهم تغيرا لا يتم إلا في بناء المجتمع .أي في حجم المجتمع ومركب أجزائه و تشكل تنظيمه الاجتماعي و عندما يحل هذا التغير في المجتمع نجد أفراده يمارسون مراكزا و أدوارا اجتماعية مغايرة لتلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة ولت من الزمن" (ناصر ثابت، 1992،(145).) و في نفس السياق يعبر عنه **جرت وملز** بأنه هو ما يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يمارسها الأفراد على النظم و الضوابط الاجتماعية التي يتضمنها بناء اجتماعي معين خلال الزمن و ذلك في حالة قيامها و نموها وانهيارها و المجتمع عبارة عن نمط مركب من العلاقات حيث يشترك فيه الأفراد بدرجات متباينة و بتغير هذه العلاقات يتغير معها تلقائيا سلوك الأفراد في نفس الوقت(ناصر ثابت ، 1992،ص(164).) و الذي بالضرورة هذا التغير يكون متفاوت التأثير على الأجيال في المجتمعات لأن نشأة الفرد على ذهنية جديدة سيكون أسهل من محاولة تغيير ذهنيات من جديد لذا نجد الجيل الجديد يحمل قيما مغايرة لتلك التي يحملها الأجيال التي سبقته على الأقل سيعاصر جيلين معا جيل والديه و جيل أجداده لذلك نشأ ما يعرف بصراع الأجيال الذي يظهر جليا في توتر العلاقات الأسرية و الذي يتمظهر في الاختلال الحاصل في العلاقات و الذي لا يعكس الشكل الطبيعي للعلاقات الأسرية أين يسود التفاهم و التوافق القيمي، بل على العكس هذا الشكل ينجر عنه صعوبة في التعايش بسبب الاختلاف القيمي الذي يعكس صراع فكري ،مما يؤثر سلبا على العلاقات بين الآباء و الأبناء داخل الأسرة ، و قد يتجلى ذلك في ظهور صراعات بين الطرفين لانعدام التوافق القيمي بين الجيلين ، منها : الشجار ،مشادات كلامية ، عزوف عن الدراسة ، إحساس بالسخط و عدم الرضا ، ميل للأصدقاء.و أيضا ينتج عنه تصادم قيم الجيلين و ما ينتج عنه من صور سلبية فيما يخص العلاقة بين الآباء والأبناء على شكل، مشادات كلامية ، كذا تعنت لقيم الابن الخاصة ورفض مطلق لقيم الوالدين والعكس ، كذا شجار دائم بين الطرفين نتيجة الخلافات الدائمة ، والتي تتولد من التناقضات القيمية بين كل من الجيلين. و هذا هو الوضع الحالي في المجتمعات العربية مجموعة من الأجيال تحمل قيم متناقضة حتى ساد اللإنسجام الاجتماعي و أختلت توقعات الدور من جيل نحو الآخر .

و في الأخير يمكننا القول أن نسق العلاقات القرابية بشكل عام و العلاقات الأسرية بشكل خاص يتم ضبطه وفق آلية تراتبية السلطة التي يفرضها النظام الأبوي الذي تتميز به المجتمعات الريفية و أن كانت موجة التغير الاجتماعي و الانفتاح العالمي قد أثر بصورة كبيرة جدا على الجيل الجديد إلا أن رواسب النظام الأبوي البنيوي في الأنظمة الاجتماعية لزال ينقل الكثير من الموروثات الذهنية للجيل الجديد عن طريق التنشئة الاجتماعية من أجل محاولة أعادة استنساخ الأدوار الاجتماعية وفق متطلبات الموروث الثقافي للمجتمعات خاصة الأسرة كي لا تزيد حدة الفروقات بين الأجيال خاصة ضمن الأسرة الممتدة مما قد يسبب تصدع في نسيج العلاقات الأسرية .

قائمة المراجع :

1. جبارة عطية جبارة ، **المشكلات الاجتماعية** ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ،1992.
2. حسين عبد الحميد،احمد رشوان،**التغير الاجتماعي و التنمية السياسية في المجتمعات النامية** ، المكتب الجامعي الحديث،مصر ط03 ،2002.
3. خالد بن عبد الرحمان ، **نظرية الضبط الاجتماعي في الإسلام**، بدون دار نشر ، الرياض، السعودية ، ط01. 2000
4. سلوى علي سليم ، **الإسلام و الضبط الاجتماعي** ،رسالة محضرة لنيل درجة الدكتوراه ، جامعة الازهر ، القاهرة ، مصر ، 1985.
5. سليم شاكر مصطفى ، **قاموس الأنثروبولوجيا** ، منشورات جامعة الكويت ، الكويت ، 1981 .
6. عبد الفتاح تركي موسى ، **البناء الاجتماعي للأسرة** ، المكتب العلمي للنشر و التوزيع ،مصر ، ب ط .
7. عبد الله الرشدان ،**علم الاجتماع التربية** ، دار الشروق للنشر ، الأردن ، ط01، 1999.
8. محمد عبدوا محجوب و فاتن محمد شريف ،**الثقافة و المجتمع البدوي** ، دار الوفاء للنشر و التوزيع ، مصر الإسكندرية ، 2005.
9. ناصر ثابت،**دراسات ي علم الاجتماع التربوي** ،مكتبة الفلاح ،الكويت ط 01 ،،1992.
10. T. Parsons **Essays in sociojogical. Theory and appthed**. Glencoe . Free press . 1949 .